

خاتمة

لقد ذاق شاعرنا حافظ ابراهيم من العذاب والفقر ألوانا وصدمته الحياة صدمات عنيفة قتلت طموحه، ومن يستعرض شعره يجد فى كل قصيدة منه ألما وبؤسا وآسا وشكوى من الدنيا ومن فيها جعلته يحس بصلة وثيقة بينه وبين البؤساء، وربما ذلك هو الذى دفعه إلى ترجمة البؤساء لفيكاتور هوجو لقد نشأ حافظ فقيرا وظل يشكو الفقر معظم حياته، كما ظل يسخط على حظه الذى يلازمه ومع ذلك فقد كان الأمل ينبعث دائما من خلال يأسه وروحه المضطربة. كما أن موهبته جعلته يهمل كل شئ فى سبيلها، وجعلت من فقره وسيلة لإذكاء نورها، ففى مدرسة اليتيم والفقر التى خرّجت لمصر الأفاض والعابرة عرفت نفس حافظ معنى الحياة والألم، فأعد نفسه للشعر، وكان له غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى، وبدأ يسلك السبل التى أعدها القدر له حيث انطبعت حياة الشعب المصرى فى نفسه، وأوحت إليه كما أوحى له حب مصر كل شعره، فأخذ يفتح شعره كافة الميادين ويحطم ما حوله من الأوهام ويستنهض الهمم، فكان صوتا قويا لمصر ينشد أغانى الحرية ويترنم باسم الدستور وتصوير عواطف المصريين وألامهم وآمالهم، وفى نفس الوقت يدفع نفوسهم إلى الفكاهة والطرب بشعره والحماسة له. فكان حافظ ابراهيم رغم بؤسه ظريفا يضحك جالس من الأعماق ويسخر من كل شئ حتى من وجوده، وإلى جانب ذلك كان سريع البديهة، وسطا بين شعراء الحرية القومية، وشعراء الحرية الشخصية فليس له فى شعراء عصره نظير فى الجمع بين

الخصلتين والظهور بحالة قومه وحالة نفسه معا فهو شاعر الحياة المصرية بكافة أحوالها، فتحدث عن الأزمات التي مرت بها مصر، كما تحدث عن حياته الشخصية في هزله وخلجات نفسه بأسلوب يتميز بقوة البلاغة وطلاوة الأسلوب وقد أنصفه أمير الشعراء احمد شوقي بقوله:

وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل للدهر انصاف وحسن جزاء

لقد كان حافظ صادقا في وطنيته صدقا جعله يعبر عن كل ما يدور في نفسه خاصة وأنه كان من طبقات الشعب، ومن صميم هذه الطبقات التي سكبت في روحه روح مصر الخالدة، وجعله القدر قيثارته تروحي إليها ربات الشعر، فإذا شعب مصر يتغنى بقصائده، وإذا أرض مصر التي ترعرع عليها تبارك له هذا الشعر الذي مهد النفوس لاستتياض الهمم فقامت ثورة ١٩١٩، وأدى رسالته في توضيح ما تتبض به القلوب وتؤوى إليه الأفئدة من أمل وألم، وخوف ورجاء وتوثب للعزة وخشية الانكسار. فتحية إلى الرجل الذي أبدع الشعر السياسي في اللغة العربية، وكان شاعر مصر الاجتماعي بلا منازع.

وهكذا سابر حافظ ابراهيم النهضة المصرية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى وفاته في ٢١ يوليو ١٩٣٢ فكان له فيها آثار تشهد بما له من فضل في النهضة الوطنية والأدبية التي اجتاحت مصر خلال هذه الفترة وتدل على أنه كان الأديب المناضل، الفذ والشاعر البليغ الذي جرد من قلمه سيفاً شمره في وجه أعداء المصريين، ونظم من شره، هاما طائما كانت قاسية في صدور المحتلين والغاصبين، لقد كانت حياة حافظ ابراهيم

ملينة بالمشاعر والأحداث التي جعلت منه شاعر اليأس والبؤساء، وشاعر الثورة على الأخلاق وشاعر الانسانية المعذبة، وشاعر الوطنية، وشاعر الاجتماع والشاعر بآلام وأحلام المصريين، وإلى جانب ذلك فقد كانت نفس حافظ في جوهرها نفسا مصرية تجد بساطتها في كل أثر من آثار المصريين، فلم لا يحبها الناس ويرون فيها أنفسهم، ولم لا يعجب بها الناس وإنما ينظرون فيها إلى صورهم تعكسها مرآة صافية نقية ومضيئة لا يشوبها صدا، ولا يغشاها غبار، لقد خالط حافظ الناس جميعا فأصبح هو الناس جميعا فقراء وأغنياء، تراه في كل بيئة وفي كل مكان تراه في حديقة الأزبكية يقرض الشعر، وتراه في الشوارع يمشى أصدقاءه ضاحكا مما يحزن ومما يسر، وتراه بائسا ليرى بؤس الناس من حوله . رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.